مضامين الشعر الحرّ في الجزائر

Contents of free poetry in Algeria

الدكتورة: سليماني نجاة

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف(الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019/01/21 تاريخ القبول:2019/05/16 تاريخ النشر: 2019/06/07

الملخص:

عايش الشّعب الجزائري أحداثا جسيمة خلال مرحلتي الثور التّحريرية، والاستقلال والشّعر الجزائري الحرّ لم يكن بمعزل عن ذلك، إذ أولاها الشعراء المعاصرين عناية خاصة، فأخذوا في التّعبير عنها، وجسّدوا مواقفهم الشّعورية اتجاهها، ممّا أدّى إلى تباين المواضيع واختلافها، وتسعى هذه الدّراسة إلى الإحاطة بمضامين الشّعر الجزائري الحرّ، والّتي تمّ حصرها في أربعة مواضيع، هي: الثورة، الوطن الرّوح القومية، والتجارب العاطفية.

الكلمات المفتاحية: الشعر الحرّ؛ مضامين؛ الثورة؛ الوطن؛ العاطفة؛ الروح القومية؛...إلخ.

Abstract: The Algerian people experienced great events during the two phases of the editorial revolution, and independence and free Algerian poetry was not isolated from it. The contemporary poets gave special attention to it, and they expressed it and embodied their poetic attitudes towards it, which led to different topics and differences. The free Algerian poetry, which has been summarized in four themes, is: revolution, patriotism, and emotional experiences.

Keywords: free poetry; content; revolution; homeland; passion; national spirit; etc.

يستدعي تغيير الشّكل بالضّرورة تغييرا في المضمون، لأنّ القول الشعري مرتبط بمدى ما يثيره من متطلّبات إلزامية تتجاوب فيها المادة اللّفظية مع ما يجري من أحداث في الواقع، أي التّجاوب بين المحلّ أو المقام، وبين الحال فيه فالمادّة اللّغوية إذاً أمر في غاية الأهمية، وقد يجرّنا هذا التّفكير الثنائي إلى ما تعرّف عليه علماء الشعرية العربية بثنائية اللفظ والمعنى.

وبناء عمّا عايشه الجزائريون من أحداث جسيمة أثناء مرحلة الثورة وما بعدها، فإنّ الشعر الجزائري الحرّ لم يكن بمنأى عن تلك الأحداث، بوصفه الوسيلة الفعّالة للتّعبير بحرّية عمّا يخالج الصدور من لحظات محزنة و مفرحة فتلك هي وظيفته، أي تصوير الوقائع، وتوقيع الأحداث، أمّا القضايا الّتي عالجها الشعراء الجزائريون فكثيرة، يمكننا حصرها في أربعة محاور رئيسية هي : الثورة الوطن، التّجارب العاطفية ، الاتّجاه القومي.

-أ- الثــورة:

قد ألزم الحس تزامن ظهور حركة الشعر الحر في الجزائر مع انطلاق ثورتها التحريرية ضد الوجود الأجنبي، بأن لا يكون ثائرا من جهة، ومتقاعسا من جهة أخرى وإنّما يستحسن الانسجام بينهما، أي إنّ ثورة التّحرير استلزمت ثورة الأدب، ففتحت المناسبة أفاقا واسعة أمام الشعراء، وتفجّرت عواطفهم بشعر ثوري عارم، يسجّل انتصارات الثورة وبطولاتها، ممّا جعلها تمثّل المنبع الّذي نهل منه الشعراء مادّتهم الشعرية، باعتبار أنّ «الشعر وجد ضالته في ثورة نوفمبر وإنّ الشعراء وجدوا أنفسهم فيها، وهم يعبّرون أو يسجلون، أو يصفون، أو يعكسون إحساسهم بالثورة، وبأحداثها في

قصائد كثيرة»[1]،وبالتّالي فهم اتّخذوها مصدرا لإبداعاتهم، «بل إنّ بعض الذين يكتبون القصيدة الحرّة، ممّن كانّوا داخل الجزائر، يذكرون أنّ الذي دفعهم إلى الكتابة بهذا الشّكل هو ظروف الثورة نفسها»[2] .

من أكثر النملذج تعبيراً عن الثورة، وتمجيدا لأبطالها، هذا المقطع الشّعري للشاعر **"أبي القاسم سعد الله"** الّذي يتغنّى فيه باندلاعها، فيقول:

كَانَ حُلْماً وَاخْتِمَارا (فاعلاتن...إيقاع وزن الرمل)

كَانَ لَحْناً فِي السِّنِين

كَانَ شَوْقاً فِي الصُّدُورِ

أَنْ نَرَى الأَرْضَ تَثُور

أَرْضَناَ بِالذّاتِ، أَرْضُ الوَادِعِين[3]

تعبّر الأسطر الشعرية عن انفعال، الشاعر وفرحته بثوران الأرض، الّذي كان يشكل حلماً بالنسبة للجزائريين وقد تخمّر كثيرا في صدورهم، وللدلالة على ذلك استعمل الألفاظ الموحية، مثل:(حلما، لحنا شوقا، الأرض تثور،...إلخ)،كما كرّر الفعل الماضي الناقص (**كان**) في بداية كل سطر، تأكيداً على الرغبة الجامحة في اندلاع الثورة قصد استرجاع الحرّية.

في حين نلفي الشاعر **"بلقاسم خمار"** يصوّر ما ألحقه الاستعمار بالشعب الجزائري من قهر واضطهاد وتشريد، حيث يقول :

عَدُوُّنَا الْغَادِر (مستفعلن ... إيقاع وزن الرجزّ).

لِلْمَرَّةِ التِّسْعِين

دَكَ عَلىَ رُؤوسِناَ الدِّيار

وَشَرَّدَ الكِبارَ وَالصِّغَار

هَتَكَ بِالْمَدافِع

مَآذِنَ الإِسْلاَم...وَالصَّوَامِع[4]

يصوّر هذا الصوت الشعري الدّمار و الاضطهاد، اللّذان خلّفهما العدوّ في صوّر كادت تعكس خصوصية التّجربة الشعورية، حيث وظّف أقوى الألفاظ، للدّلالة على ذلك، مثل:(شرّد، العدو، الغاد هتك، دكّ،...إلخ)، والظّاهر أنّ إيقاع الشعر الثوري ينسجم كثيراً في المواقف الشعرية الثورية مع وزني الرجزّ والرمل، باعتبارهما وزنين بسيطين ينسجمان مع قابلية التّفكير الشعري، الّذي يتطلّبه الموضوع الثّوري.

ونصادف الشاعر **"سعد الله"** يترنّم بالحرية، والاستقلال في قصيدة عنوانها **"الانتصار"**، إذ يقول:

رَدِّدِيهَا ! (فاعلاتن...إيقاع وزن الرمل).

نَغْمَة النَّصْر الْمَجِيد وَانْشُرِيهَا

عَبْرَ آفَاقٍ عِطَاشٍ لِنَشِيدِك

شَرِبت كَأْسَ الْخَلاَص الْحُرّ فِي فَرْحَة عِيدِك![5]

يتغنّى الشاعر في هذا الموقف التّعبيري، بانتصار الجزائر وانتزاع حرّيتها في صور تعكس فرحته وحماسه، مثل عبارة: (شربت كأس الخلاص الحرّفي فرحة عيدك)، وبهذا أصبح من الموضوعي أن يتطابق التّشاكل الإيقاعي بين الدال والمدلول أي بين الأداة الفنّية والموضوع، لأن الرّاسخ في الاعتقاد، هو أنّ الأدب الثوري يستمد قيمته الإبلاغية من حماسة الموضوع الشعري.

بيد أنّ الرّوح المتمرّدة مازالت تسيطر على بعض الشعراء الجزائريين على الرّغم من الهدوء الذي عمّ الجزائر بعد الاستقلال، وقد اتّخذت الروح الثائرة طابع نقد الوضع السياسي والنّضال الاجتماعي، من أجل أبناء الوطن ، إذ نجد الشاعر "**محمد مصطفى الغماري**"، وهو من الشعراء المتذمّرين من الوضع المرير الذي آلت إليه الجزائر في زمن الحرية يقول:

يَا زَمَنَ السَّلاَم المرّ.. (مفاعلتن...إيقاع وزن الوافر)

فِينَا يُقْتَلُ الإنْسَان!

مِنَّا يُسْلَبُ الإيمَان

يَا زَمَنَ الثَّرَاء وَبِاسْمِهِ جَاعَت مَلاَيِين![6]

توحي الأسطر الشّعرية بإحساس الشاعر الدّائم بالثورة على الواقع المعيش وانتقاده، فهو يصوّر مرارة زمن السّلام الّذي انتهك فيه حقّ الإنسان، وتعرّض للجوع والحرمان، واعتمد الشاعر إيقاع وزن الوافر، الملائم لمثل هذه التجارب الشعرية، لاتسامه بالرصّانة والدّقة.

أمّا الشاعر "**الأخضر فلوس**" فنجده في إحدى مواقفه الشعرية ناقماً على الحالة التي آل إليها أبناء الوطن الجزائري من الذلّ والخيانة، جرّاء الظروف السّياسية، كالتّعدّدية الحزبية والاشتراكية، وغيرها فيقول:

يَا لَيْتَنَا نُضِيءُ بِالأَمْجَادِ هَذَا القَبْر (مستفعلن ... إيقاع وزن الرجز)

فَإِنّنَا نَمُوتُ دُونَمَا ثَمَن!

يَا لَيْتَنَا كُنّا رِجَالاً مَرّةً فِي العُمْرِ

وعِنْدَهَا نَقُولُ:

أنّنا نَعِيشُ لِلوَطَنِ![7]

يظهر أنّ الأسطر الشّعرية في هذا الموقف التّعبيري جاءت متطابقة، ومتجاوبة مع الرّوح المتمرّدة و المتذمّرة التي غلبت على نبرة الشاعر، جرّاء ما وصلت إليه الجزائر من اضطهاد سياسي في زمن الحرّية فأتت في شكل نداءات وتلويحات تجسّدت في تكرار مبدأ اللّازمة التّعبيرية (يا ليتنا)، للدلالة على حالته الانفعالية الثائرة.

. ب . الوطــن:

لم تهدر الشعوب في تاريخها، مثلما أهدرته من دماء في سبيل الدّفاع عن أوطانها، ولم يتغنّ الشعراء بما في الكون، بقدر ما تغنّوا بحب الوطن وقدسيته، «فالجزائريون كانوا نموذجا رائعا للكفاح والصمود إلى المحتلّين الذين أرادوا

طمس معالم وطنهم »[8]، وسلك حب الوطن لدى الشاعر الجزائري طرقا مختلفة فمنها ما ارتبط بالأرض والطبيعة ومنها ما ارتبط بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومنها ما عالج الاشتراكية، و الصراعات الإيديولوجية، ومن بين الشعراء الّذين أشادوا بحبّ الوطن، الشاعر " **أحمد حمدي**"، حيث يقول:

يَا وَطَنِي الْمَحْفُور (فاعلن...إيقاع وزن المتدارك).

عَلَى جُدْرَانِ القَلْب

زِدْ غَضَباً

ازْدَدْ حُبّاً[9]

يتراءى من خلال هذا الموقف الشعري، أنّ الشاعر مولع بحب وطنه المحفور على جدران قلبه وللتّعبير عن مشاعره الجياشة استعمل إيقاع وزن المتدارك، الموائم لمثل هذه المواقف التّعبيرية المفعمة بالحبّ والأمل.

بهت الشاعر بالطّبيعة الجزائرية الخلّابة المناظر، والرائعة الجمال، فراح ينظم قصائد يتغنّى فيها بجمالها، كما فعل الأندلسيون من قبل، حينما بهتوا بجمال طبيعتهم، إذ نجد الشاعر "**سعد الله**"، يصف جمال جبل الأطلس فيقول:

علىَ جَانِبَيْكَ الرَّبِيع (فعولن... إيقاع وزن المتقارب)

يُزَخْرِفُ مَا شَاءَ لِلْنَاظِرِين

كُرُوماً وَغَابَات تِين

وَنَخْلاً يَطُوفُ الفَضَاء الوَسِيع

قطيعاً... فَطِيع

عَلىَ جَانِبَيْكَ الْحَرِيْر

مِنَ العُشْبِ وَالزَّهْرِ وَالياسَمِين[10]

يتبيّن أنّ الشاعر استرسل في تصوير طبيعة جبل الأطلس بشكل إبداعي ثري بالتّناغم الإيقاعي والتّناسق الدّلالي، يتناسب مع بلاغة الموضوع الشعري، لأنّ الطبيعة في حد ذاتها عبارة عن إيقاع، وصوّر دلالية بليغة الإيحاء.

وقد اضطرّ كثير من الشعراء إلى مغادرة الجزائر، والاتّجاه نحو الدّول العربية لإنهاء الدّراسة خاصة بعد نشوب نيران الثورة التّحريرية، وعلى الرّغم من أنّهم كانوا بين أشقائهم العرب، إلّا أنّهم شعروا بمرارة الاغتراب، والحنين إلى الوطن «فالشاعر بلقاسم خمار الّذي عاش في سورية أثناء حرب التّحرير، كان يعيش هموم الوطن ويشعر أنّه طعم لوحش الغربة الرّهيب»[11]، وعبّر عن هذا في عدّة قصائد، من بينها قصيدة "**أشواق**"، نذكر منها:

وَطَنِي تَرَكْتُكَ مُرْغَماً .. وَتَرَكْتُ فِيْكَ سَعَادَتِي (متفاعلن....إيقاع وزن الكامل)

وَرَمَى الزَّمَانُ بِمِهْجَتِي كَالْوَيْلِ فِي فقْرِ الْبَوَادِي

حَيْثُ التَّعَاسَةُ كَالْظَّلاَمِ تُثِيرُ آلاَمِي وَبُؤْسِي

وَلَظَّى السَّرَابِ، وَوَحْشَة الآفَاقِ تَلْهَثُ كَالصَّوَادِي

وَأَنَا الشَّرِيْدُ، أَنَا الشَّقِيُّ، أَنَا المعَذَّبُ فِي بُعَادِي[12]

يتّضح أنّ الشاعر في حالة اشتياق، وحنين لوطنه، وقد عبّر عن ذلك في صور تعكس حزنه وغربته في إيقاع صاخب وحادّ، حيث استعمل أقوى الألفاظ وأدقها، مثل:(تركتك، مرغما، التّعاسة، الظّلام، آلامي، بؤسي السّراب،...إلخ)، كما راح يردّد ضمير (**الأنا**) الناطق في السطر الأخير(**أنا الشّريد، أنا الشّقي، أنا المعذّب**) وذلك تكريسا لموقفه الشعوري المشحون بالألم، والعذاب، بسبب تغرّبه عن الوطن الأمّ.

والملاحظ أنّ الشّاعر، ما يزال متمسّكا بسمات القصيدة العمودية، فهو بقي أسير القافية ذات الروي الواحد و المتمثّل في صوت (**الدال**).

أمّا الشاعر "**الأخضر فلوس**" فنصادفه يعبّر عن اشتياقه، وحنينه لوطنه الجزائر، حيث يقول:

تَتَرَدَدُ أُغْنِيَة، تَتَحَرَكُ تَحْتَ مَسَامَاتِ جِلْدِي الرِّمَال (فاعلن .. إيقاع وزن المتدارك)

وغَابَة شَوْك، تَنَامَت حَدِيثَاً–عَلَى جَسَدِي

هَلْ تَعُودُ الطُّيُورُ، وتَهْتَزُ ثَانِيَةً تُرْبَةُ الطُّرُقَات ؟

جَمِيل غِنَائك تَسَلل.. لَمْ أنْسَه

إِنَّه الِّذكْرَيَات أجْمَعُهَا فِي عُيُونِي... ومِلْء يَدِي

إِنِّنِي مُثْقَل و أُرِيدُ الدُّخُول إِلَيْهَا،

ولَكِن نَافِذَة العِشْقِ مُطْفَأة

هَلْ سَتَشْعَلُهَا الرِّيَاح ثَانِيَة ، مِنْ دِمَائي مِنْ كَبِدِي؟؟

–إِنّ هَذَا الحَنِين... ... ...

لِمَاذَا تَفِرِّينَ مِنِّي بَعِيدَا؟[13]

أبدع الشاعر" **الأخضر فلوس**" في هذا المقطع الشعري ، خاصة من حيث تجويد أساليبه اللغوية وترقيتها، إذ تميّزت لغته بالفصاحة، وقوة الألفاظ، وبراعة التصوير مثل: غابة شوك تنامت على جسدي نافذة العشق مطفأة، ... إلخ، وذلك تجسيدا لحالته الانفعالية المثقلة بالهموم والعذاب والاشتياق، بسبب التّغرب والابتعاد عن الوطن.

في حين اتّسمت حركته الإيقاعية بالحيوية و التّنامي، لاسيما من خلال استخدامه لعلامات التّرقيم الدالة على ذلك، كالفواصل، و نقاط التّواصل، وعلامات الاستفهام التي زادت من تصاعد نبراته الموسيقية، وبهذا فهو شديد الحرص على التّلاعب بالإيقاع القوي، رغبة في أسر القارئ المتلذّذ، وبالتّالي «فشعره يقترب من الشعر العمودي من حيث رصانة إيقاعه، ومن الشعر الحداثي من حيث رسم صوّره، وتنويع تشكيله وكل ذلك جاء في لغة مؤتنقة وألفاظ مؤتلفة فهو من شعراء الحداثة الشعرية القلائل في الجزائر الذين يتقنون لغتهم ويحرصون على سلامتها»[14].

وشهدت الجزائر بعد أن ولّى زمن الاستبداد يقظة شاملة لإعادة بناء الوطن، إذ انصبّ جلّ اهتمام أبنائها على الثورة الزراعية والصناعية، وإعادة تشييد ما حُطّم من مباني ومدارس ومساجد، ومكافحة الفقر بالعمل الكادح والشعر الجزائري الحرّ ثري بمثل هذه الأحداث، ويظهر هذا في شعر "**محمد الأخضر عبد القادر السائحي**" كما في المقطوعة الشّعرية الآتية:

إِنَّهَا ثَوْرَة الشَّعْب (فاعلاتن... إيقاع وزن الرمل)
لِلْصِناَعَةِ
لِلْزِرَاعَةِ
ثَوْرَة الشَّعْبِ إِلىَ الشَّعْبِ الْجَرِيح
ثَوْرَة الفِكْرِ إِلىَ الفِكْرِ الصَّحِيح
ثَوْرَة الحَقِّ إِلىَ الحَقِّ الصَّرِيح
لِنَرَى فِي عَوْدَةِ الأَرْضِ إِلَى الفَلاَّحِ
آمَال الفَقِير
فِي اعْتِبَارِ العَامِلِ الْكَادِح[15]

استعمل الشاعر إيقاع وزن الرمل المناسب لمثل هذه المواقف الشعرية التي تستلزم إيقاعاً خفيفاً متسارعاً يتماشى مع الحركة التّغييرية التي تمرّ بها الجزائر حيث انتقلت من حالة الجمود، إلى وضعية تبدأ معها حتما قوة الحركة والتّقدم، غير أنّ لغته اتّسمت بالبساطة الفنية التي لا ترقى إلى المستوى المطلوب.

-ج- التجـارب العاطفيـة :

لم يشهد الشعر العاطفي أو الوجداني إقبالا كبيرا من قبل الشعراء الجزائريين المعاصرين، مقارنة بالشعر الثوري والوطني، وقد يرجع هذا إلى الظروف الحالكة التي كان يعيشها الشاعر الجزائري من قيد للحريات، ومعايشة للنكبات والأمور المحبطة، فقد كانت« القيود الاستعمارية أقسى من أن تسمح للشاعر بأن يتغنّى بعواطفه أو ينصرف لنوازع ذاته»[16] بالإضافة إلى الكبت النفسي الذي كان يحياه، بسبب البيئة الجزائرية المحافظة، والتقاليد الاجتماعية المفروضة التي تمنع كل حديث عن حبّ المرأة، أو الميل إليها، الأمر الذي منعه من العناية بمشاعره.

وقد استعاض عن ذلك بشعر عاطفي يتغنّى بحبّ الوطن، أو التّعبير عن أحاسيسه بأسلوب رمزي غير مباشر باستثناء بعض الشعراء الذين غادروا الجزائر واتّجهوا نحو الوطن العربي، ممّا سمح لهم بالتّطلع على علاقات اجتماعية مغايرة وإطلاق العنان لمشاعرهم الجياشة، لاسيما بعد انتزاع الاستقلال، فقد أصبحت للقصيدة العاطفية مكانتها في الشعر الجزائري المعاصر، حيث نلمس ذلك في شعر "**عمّار بو الدّهان**" حين يعبّر عن شعوره، وهو يودّع حبيبته في قصيدة عنوانها "**السمراء التي جندلت قلبي**"، فيقول في مطلعها :

حِينَ وَدَّعْتُكِ كاَنَ الدَّمْعُ جَدْوَل، (فاعلاتن...إيقاع وزن الرمل)
حِينَ وَدَّعْتُكِ كاَنَ القَلْبُ فِي الأَرْضِ مُجْنْدَل،
يَا حَبِيبِي
يَا حَبِيبَ العُمْرِ، يَاغِنْوَة بُلْبُل[17]

يعبّر الموقف الشّعري عن حالة الشاعر الانفعالية، وهو يفارق حبيبته في شكل نداءات، تمثّلت في تكرار حرف النداء (**يا**)، للتأكيد على موقفه الشعوري الثائر، وقد استعمل علامات التّرقيم للدلالة على امتداد الإيقاع و حيويته ليتوافق مع حالته الشعورية .

ونلفي الشاعر "**خمار**" يعترف بحبّه الدّفين في قصيدة عنوانها "**اعتراف**"، هذا مقطع منها:

أَصْبَحْتُ أَدْعُوكِ (مستفعلن...إيقاع وزن الرجز)

بَيَاَ صَدِيقَتِي

وَخِفْتُ مِنْ حُبِّكِ

أَنْ يَنْسَانِي

وَلاَ أَرَاكِ بَعْدَهُ

رَفِيقَتِي

فَبُحْتُ بِالسِرِّ

الَّذِي أَعْيَانِي

أَطْلَقْتُهُ

وَقُلْتُ يَا عَشِيقَتِي[18]

من الواضح أنّ إيقاع الشعر العاطفي يتوافق كثيراً في التجارب الشعرية الجزائرية المعاصرة مع إيقاع وزن الرجز، لما ينعم به من تقريرية وصرامة وثبات، ينسجم مع قابلية التّفكير الشعري الذي يستلزمه الموضوع الوجداني المتغنّي بحبّ العشيقة.

ولما انتزع الجزائريون استقلالهم، أصبح للقصيدة الوجدانية مكانتها في الشعر الجزائري الحرّ، إذ راح الشعراء يسترسلون في التّعبير عن مشاعرهم بحرّية مطلقة، وهكذا أخذ الشعر العاطفي في التّطور، والذيوع بين الشعراء الجزائريين، فتتالت التجارب، وكثرت النماذج الشعرية الوجدانية.

-د- الاتجـاه القومـي:

ينعم الشاعر الجزائري المعاصر بروح قومية مميّزة، إذ لم يزده الاحتلال الذي تعرضت له بلاده، إلّا إيماناً بقوميته وتمسّكاً بها، فعلى الرّغم من اهتمامه بقضيته الوطنية التي لم تنفصل عن إطارها العام بوصفها قضية العرب عامةً، إلّا أنّه حاول الاهتمام بالقضايا العربية، حيث أصبح ينظر إلى الوحدة العربية بنظرة عميقة وواعية، ولم يبخل بتسجيل مشاعره إزاءها، و التّعبير عن آلامها وانتصاراتها، والدّليل على ذلك قصيدة "**الفجر العربي**"، للشاعر"**بلقاسم خمار**"، وهذا مقطع منها:

أيُّ صَوْتٍ يا بِلاَدِي - فِي كَيانِ الشَّعْبِ (فاعلاتن... إيقاع وزن الرمل)

مِنْ ذُرَى الأَوْرَاس، مِنْ دُجْلَة مِنْ لحَج تَغَنىَّ

بِردَى وَالنِّيلِ ذَاباَ فِي عِناَق وَاطْمَأَنَّا

إيهْ ياَ وِحْدَتناَ .. يَا فَجْرَهَا النأَبِعُ مِناَّ[19]

يتغنّى الشاعر بالوحدة العربية، بتلك الروح الجياشة، والحبّ الصادق فهو لم يفرّق بين كفاح شعبه، وكفاح باقي أبناء الأمة العربية، حيث ربط ربطا محكما بين النّضال في الأوراس، والنّضال في الدّجلة والنّيل .

أمّا القضية الفلسطينية، فهي من أهمّ القضايا التي استقطبت اهتمام الشاعر الجزائري المعاصر، إذ عبّر عن مأساتها، وأشاد بحبّها باعتبارها قضية العرب الأولى، « وقد احتلت هذه القضية مكان الصدارة، لا من وقت النكبة 1948 فحسب؛ بل من وقت مبكر جدًّا »[20].

فالشاعر "**بلقاسم خمار**" في قصيدته "**ملكة جمال ... فلسطينية**"، يرمز إلى المقاومة من خلال الفتاة "**سهام**" التي استنهضت همم الإنسان العربي، وأيقظت فيه روح المقاومة فكانت تمثّل النّور الذي أضاء طريقه العاتمة، حيث يقول:

وَنَحْنُ الشُّعَرَاءُ (مستفعلن... إيقاع وزن الرجز)

كُناَ بِلاَ وَحْيٍ... بِلاَ إِلْهَام

كُناَ بِلاَ مَناَبِع الجَمَالِ

كُنَّا مَعَ الأَوْهَامِ

حَتّىَ أَطَّلَ وَجْهُكِ الْفَتَّان

تَفِيضُ مِنْ جَبِينِهِ الدِّمَاء

فَانْطَلَقَتْ مِنْ لَيْلِناَ الأَلْحَان

وَانْسَكَبَت دُمُوعُناَ جِياَد[21]

يصوّر الموقف الشّعري مدى تأثّر الشاعر الجزائري بما يدور في الشقيقة فلسطين، من ظلم وقهر وانتهاك للحرمات، وذلك باستخدامه للفظ (**كنا**)، وتكراره في بداية كلّ سطر، للتّأكيد على موقفه الثائر والرّافض للعبودية .

أمّا الشاعر"**عبد العالي رزاقي**"، فيعد القضية الفلسطينية أكبرهم عربي إذ يقول:

هَذِهِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهاَ (فاعلاتن...إيقاع وزن الرمل)

(أَطَالَ اللهُ أَعْمَارَهُم)

تَحْمِلُ فِي أَعْمَاقِهاَ أَكْبَر هَمٍّ عَرَبِيٍّ

وَجْهِي القُدْس

وَهَذاَ زَمَنُ الجُرْح الفِلِسْطِينِي مَرْهُوناً لَدَى

(أَنْظِمَـةِ الـرِّدَة)

وَالقَالِ وَأَشْباَه الرِجَّال[22]

يظهر من خلال الكيفية التي كُتبت بها هذه الأسطر الشعرية، مدى تأثّر الشاعر وإحساسه بالألم الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، حيث خلّفت صراعا بين البياض والسواد، يوحي بالحالة الانفعالية الثائرة التي يحياها الشاعر، سيما وهو يؤمن بأنّ انتماءه القومي، هو درع يحميه، ويشد أزره في نضاله العادل.

أمّا الشاعر " **بلقاسم خمار**"، فنجده في إحدى قصائده ينظر إلى بغداد على أنّها أمل العروبة، ورمز مجدها، حيث يقول:

بَغْدَادُ يَا أَمَلَ العُرُوبَةِ هَلْ تُوَارِيكَ السُّدُود (مستفعلن... إيقاع وزن الرجز)
بَغْدَادُ ياَ خَطَرَ –إِذَالِنّاَ– سَيُجْتَاحُ الْوُجُود
سَيُبَدَّدُ المَجْدُ التَّلِيدُ وَمَا بَنَاهُ لَناَ الْجُدُود
لاَ لَنْ تَلِينَ، وَلَنْ يُزَعْزِعَ عَزْمَناَ قَصْف الرُّعُود
بَغْدَادُ إِقْلِيمنَا النّمُهْتَاج إِنَّكَ لنْ تَحِيدَ
بَغْدَادُ يَا إِقْلِيمَنَا تَفْديكَ الأُسُود[23]

بنى الشاعر قصيدته على إيقاع وزن الرجز، الذي يتلاءم من حيث هو وزن بسيط، وهادف مع المواقف الشعرية الثائرة، وقد كرّر لفظ (**بغداد**)، للدلالة على أنّها رمز للعروبة وأملها، ويظهر جلياً تمسّكه بالبناء الإيقاعي التقليدي، حيث حافظ على وحدة القافية والروي.

تحفل الدّواوين الشعرية الجزائرية المعاصرة، بالنماذج المعبّرة عن الرّوح القومية التي يتشبّع بها الشاعر الجزائري، لا اتجاه وطنه العربي فحسب؛ بل اتجاه العالم بأسره، فكثيرا ما تغنّى بالقضايا التحرّرية في العالم، (التمييز العنصري في أمريكا، ثورة الفيتنام، جنوب إفريقيا....إلخ) ، لذا فقد اكتفينا بذكر الأهمّ منها.

وهكذا، فقد عالجت القصيدة الجزائرية الحرّة المعاصرة جملة من القضايا والمواضيع، نذكر منها: موضوع الثورة الّذي شكّل معينا لا ينفد بالنّسبة للشعراء، كما عبّروا عن حبّهم للوطن، وما عايشه من أحداث، هذا فضلا عن تعبيرهم عن روحهم القومية، وتجاربهم العاطفية، وعلى الرّغم من تميّز محاولاتهم الأولى بالمحافظة على النظام التقليدي للقصيدة العمودية، إلاّ أنّهم استطاعوا أنّ يحقّقوا تطوّراً ملحوظاً، خاصة بعد الاستقلال، حيث أصبحوا يكتبون نماذج تنافس مثيلاتها في الشعر العربي المعاصر، لاسيما من الجانب الفنّي والإيقاعي.

الهوامش والإحالات:

1 – د/ عبد الله ركيبي، الشعر في زمن الحرّية، د ط ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1994، ص 09.

2 – شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985م، ص 76.

3 – د/ أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر(ديوان سعد الله)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م ، ص 179.

4 – محمد بلقاسم خمّار، الحرف والضوء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 68– 69.

*– تفعيلات وزن الرجز هي: مستفعلن مستفعلن مستفعلن (2x).

5 – أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 367.

6 – مصطفى محمّد الغماري، بوح في موسم الأسرار، لافوميك، 1985، ص 62– 63.

7 – الأخضر فلوس، حقول البنفسج، دط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص25.
8 – شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، ص99.
9 – أحمد حمدي، قائمة المغضوب عليهم، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980، ص 37.
10 – د/ أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 213.
11 – شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، ص101.
12 – محمّد بلقاسم خمّار، إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986، ص 91.
13 – الأخضر فلوس ، حقول البنفسج ، ص 55–56.
14 – د/ عبد الملك مرتاض ، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين ، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2007، ص458 ، ص 515.
15 – محمد الأخضر عبد القادر السائحي، أغنيات أوراسية ،دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص105.
16 – شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحرّ في الجزائر، ص 108.
17 – عمّار بو الدّهان، معزوفة الظمأ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 55.
18 – محمّد بلقاسم خمّار، الحرف والضوء، ص 127.
19 – محمّد بلقاسم خمّار، إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، ص 97.
20 – د/ عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،ط 3،الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1977 ص 75.
21 – محمّد بلقاسم خمّار، الحرف والضوء، ص 82.
22 – عبد العالي رزّاقي، أطفال بورسعيد يهاجرون إلى أول ماي، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص15.
23 – محمّد بلقاسم خمّار، إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق ، ص 102– 103.